مجلة الرائد

العدد : ٢٠٧ الموافق في ذو القعدة ١٤١٩ هجري ٣ / ١٩٩٩ ميلادي

عنوان المقال : ملفات لم تغلق بعد ..	بقلم : متولي موسى

سأتناول في هذه المقالة الحديث عن ملفات مفتوحة من مدة طويلة ولكنها لم تغلق بعد لأسباب خارجية وأخرى داخلية ، وليس المقصود من تناول هذه الملفات الملتهبة هو ذكر ما استجد من تطورات وأحداث فقط ، إذ لا بد من عمل إيجابي فاعل يأخذ في حسابه الزمن ، وينظر من وراء الحاضر إلى المستقبل . فالواقع الذي وصلت إليه هذه القضايا إنما هو حصاد تراكمات تجمعت من عشرات الأعوام ..

أولا : الصراع العربي الصهيوني :

لا شك أن جوهر الصراع هو القضية الفلسطينية ، التي كانت على مدى عقود النقطة الساخنة في جدول أعمال لقاءات القمة العربية - التي لم تعد قادرة الآن قادرة على الاجتماع - وهي في ذات الوقت الأساس في نقاشات وبرامج أحزاب الصهاينة منذ أن بدأ أول اجتماع لهم للتفكير في قيام كيان يمثلهم . والمتابع لهذا الملف يتبين له ما يلي :

ليس للعرب على مستوى الأنظمة العربية ، وعلى مستوى الفصائل الفلسطينية ، مواقف موحدة صادرة عن مرجعية واضحة في الماضي والحاضر . وعدم وجود موقف واحد فاعل لا يرجع إلى أن الشعارات مثل " تحرير الأرض " خطأ أو أن تحقيقها غير ممكن ، وإنما يرجع إلى أن الأنظمة العربية والفصائل الفلسطينية ، وحتى المؤسسات العربية المشتركة مثل جامعة الدول العربية قد صنعت لتحافظ على التجزئة ، ويغلب على معظمها الأنانيات والمصالح القبلية والشخصية ، وبالدرجة الأولى المحافظة على مصالح القوى الدولية التي تحمي وجودها ، وتغليب ذلك كله على مصلحة الشعوب والأمة .

٢. خيل لبعض الأنظمة العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية ، أو زين لهم ، أن تنصلهم من المسؤولية الدينية والتاريخية عن القضية الفلسطينية سيعود عليهم بالازدهار الاقتصادي ، وسيرفع عن كاهلهم العبء المادي والتكاليف العسكرية بحيث إذا تم القبول بالكيان الصهيوني والتعايش معه وتطبيع العلاقات ، فإن ذلك سيحقق التطور الاقتصادي والأمن الاجتماعي !!!

ولكن الواقع العملي أثبت العكس من ذلك تماماً ؛ فالنفقات العسكرية لا زالت في تزايد ، والانتعاش الاقتصادي تحقق فقط للكيان الصهيوني الذي تنصل من معظم الاتفاقات ، إلا من تلك التي تحقق مصالحه ، ولو أدى ذلك إلى قتل رئيس الوزراء _كما حدث مع رابين _ أو إسقاط الحكومة وتقديم الانتخابات - كما حدث مع حكومة ناتنياهو - ، وما زالت حكومات الكيان الصهيوني تعمل على الارتقاء

النوعي ، تحت شعار : " الاستجابة للحقائق الاستراتيجية الجديدة " وفي الوقت الذي يتم فيه إحكام سياسة الحصار الاقتصادي لتجويع الشعب الفلسطيني .. فقد ذكر خبراء إقتصاديون من الأمم المتحدة أن معدل الدخل الفردي الفلسطيني السنوي انخفض بنسبة تتراوح بين ٢٠ و ٢٥ % منذ توقيع اتفاقية الحكم الذاتي ..!!!

٣. العالم العربي بكامله عاجز أمام العدو المغتصب ، وهذا العجز في الأساس لا يرجع إلى الإمكانات البشرية والمادية التي يمتلكها الكيان الصهيوني ، وإنما يرجع إلى الانقسام والتشتت والتنازع الحاصل في الأمة العربية والإسلامية ، والذي يستفيد منه صانع القرار الصهيوني فيوظفه لتحقيق مصالحه ، فإذا وافق العرب على " السلام ! " فإن الصهاينة ومن خلفهم يجعلونه سلامة وأمن المغتصبين فقط ، وإذا وافق العرب على حضور مؤتمرات تقرر بشأن الإرهاب والعنف فلا يفهم ذلك إلا على أنه الإرهاب الإسلامي وعنف الجماعات الفلسطينية التي تدافع عن أرضها وأهلها .. !!!

والملفت للنظر هو أن هذا الواقع لم يعد مقلقاً لصانع القرار العربي ، والذي يسير في المخطط المرسوم تارة في السر وأخرى في العلن ، ولكن الذي يجب أن يطرحه هؤلاء على أنفسهم هو : هل هم مقتنعون في أنفسهم أن ما يقومون به من جهد واستعراضات أمام عدسات وسائل الإعلام صواب !؟ وما هي النتائج الحقيقية التي تحققت للأطراف ؟!

ثانياً : مأساة الشعب الكردي والموقف الدولي :

ليس المقصود من تناول هذا الملف ، الحديث عن أساليب أعداء الإسلام والمسلمين الذين عملوا على بعث الدعوات القومية وإحياء العصبيات العرقية لتمزيق الأمة الإسلامية إلى دويلات عديدة هزيلة ، وإقامة حدود مصطنعة رُوعي في وضعها أن تكون سبباً للصراع بين هذه الدويلات ، وفي داخل هذه الدويلات عمد المتنفذون إلى وجود قوميات متعددة ، فإذا اشتعلت فتنة القوميات واندلعت الصراعات ، زج بالجميع في طريق الضلال والاقتتال بدعوى التحرر من سلطان التحكم والاستبداد .

ولا أريد الحديث في هذا الملف عن حزب العمال الكردي وزعيمه " عبد الله أوجلان " والرمز الذي يمثله لعدد كبير من الأكراد الأتراك ، ولا عن كيفية انتقاله من السفارة اليونانية في نيروبي إلى تركيا ، وأصابع الإتهام التي تشير إلى وجود صفقة ربما اشترك فيها عدد من الجهات مثل المخابرات الأمريكية والصهيونية فضلاً عن اليونان ، فهذه ستكشفها الأيام - إن شاء الله تعالى - .

وإنما أتحدث عن مأساة هذا الشعب الكردي المسلم الذي تبين بعد إقامة الحدود أنه توزع على خمسة

بلدان هي : تركيا والعراق وإيران وسوريا وأذربيجان ، كل قسم يواجه ألوان الاضطهاد من النظام الحاكم ، كما يواجه كل قسم الاضطهاد أينما كان من قبل الشعوب التي تعيش معه في بلده أو تجاوره خارج بلده ، وكل بلد من هذه البلاد يحاول استخدام من استطاع من أكراده لضرب أعدائه في الأقطار المجاورة ، مقابل الوعود الجوفاء التي لا يتحقق منها شيء ، فأصبح شأن الأكراد وراء هذه الحدود شأن الغريق الذي أحاط به الموت من كل مكان ، فهو يمد يده إلى كل من يصادفه رجاء أن يكون سبباً للنجاة .. وطبيعي أن شعباً هذه حاله ، لا يجد في حياته متسعاً للتفكير بغير النجاة ..

والملفت للنظر أن أمريكا التي رفعت لواء حقوق الإنسان في العالم ؛ فطلبت حماية الأكراد في العراق ، وفرضت حظراً جوياً على شمال العراق لحماية الأكراد من النظام العراقي ، تعمل في نفس الوقت على دعم الفرقاء من الأكراد لكي يتوحدوا ، هي نفسها التي تدعم النظام التركي للقيام بهجوم عسكري تلو الآخر وقتل من تسميهم بالإرهابيين والمتمردين على النظام التركي ، وأخيراً ربما تورطت في خطف زعيمهم لترحيله إلى تركيا . فما هي هذه المواقف الإنسانية العجيبة غير المعقولة إلا بعقلية المصالح والمنافع ؟!

إن ما انتهى إليه الوضع مع الشعب الكردي المسلم ، لدليلٌ بيّن على ما نصنعه - نحن المسلمون - بأنفسنا وبأيدينا ، ونفتح به الباب أمام النزاعات الداخلية الدامية من ناحية ، كما نوجد الثغرات التي يتسلل عبرها كل عدو طامع في مزيد من السيطرة والاستغلال للشعوب والبلاد من ناحية أخرى ..

ثالثاً : أزمة العراق مع الأمم المتحدة :

لقد بات واضحاً أن ما يقع مع العراق - شأنه شأن كثير من البلاد الإسلامية - ليس أزمة مع منظمة دولية ، وإنما مصلحة لقوى متنفذة استخدمت الأمم المتحدة ستاراً لتحقيق ما تريد ، ولكن الملفت للنظر في الأسابيع الماضية هو كثرة صدور تصريحات من قادة وساسة ومؤتمرات عقدت هنا وهناك وكلها تؤكد على ما تردد منذ سنوات " تحميل النظام العراقي بشكل كامل مسؤولية ما يقع ، بسبب عدم الانصياع لتطبيق قرارات الأمم المتحدة " وذلك دون الإشارة من قريب أوبعيد إلى افتعال أمريكا للأزمات ، واستفزازات لجنة نزع الأسلحة ورئيسها " ريتشاد بتلر " ودون الإشارة إلى ارتباط بعض رموز هذه اللجنة الواضح بأمريكا وبريطانيا والكيان الصهيوني ، حتى انفضحت هذه الأمور ، وصار الحديث عنها حتى في مجلس الأمن الدولي ذاته .

إن ما انتهى إليه الوضع في العراق يؤكد : أن الولايات المتحدة وبريطانيا تعملان على استمراره

لتحقيق مصالحها بابتزاز المنطقة والهيمنة على مقدراتها ، ولا يمكن الخروج من هذا الوضع المزري الذي تعفن إلا بالرجوع الصادق إلى الحق والتزامه والعمل على توحيد مصالح الأمة والأخذ بأسباب نهوضها قبل فوات الأوان .

رابعاً : ملف بلاد جنوب شرق آسيا :

ولن أتناول هذا الملف بالكامل وإنما سأعرج على اندونيسيا وماليزيا :

أندونيسيا : تجددت المظاهرات الاحتجاجية في صورة مطالبة العمال برفع أجورهم ، مما أعاد إلى الأذهان المظاهرات العنيفة التي أجبرت الرئيس الأندونيسي السابق سوهارتو على الاستقالة ، وتمثل اندونيسيا أكبر تجمع سكاني إسلامي ، وكانت حتى قبل الأزمة الاقتصادية التي ألمت بنمور جنوب شرق آسيا تمثل بلداً اقتصادياً واعداً ، فقد قطعت أشواطاً في إقامة استثمارات كبيرة ، ولكنها للأسف لم تكن قائمة على أسس صحيحة ، كما أخذت بأسباب الحداثة والعولمة في مجالات الاتصالات والانفتاح الاقتصادي - مرة أخرى غير المضبوط بالقيود اللازمة - فظهرت طموحات وآمال مستقبلية لدى جيل الشباب الذي يتطلع إلى غد أفضل ومستقبل زاهر ، إلا أن الجميع فوجئوا بتدهور الأوضاع الاقتصادية ، ولما خرج الناس إلى الشوارع لم تعالج الأمور سياسياً ، وإنما ازداد التدهور الاقتصادي بسبب المؤسسة السياسية ، ولقد عاد الاضطراب والقلق من جديد ، ويزداد الأمر تعقيداً إذا علمنا أن البلاد تضم خليطاً من الديانات والثقافات ، وأصولاً وأعراقاً مختلفة ، إسلامية وهندوسية وصينية ومسيحية ، وظهرت بوادر الانقسام بما يدور حول استقلال " تيمور الشرقية "

فمن المعلوم أن تيمور الشرقية تمثل القسم الشرقي من جزيرة تيمور الواقعة في أرخبيل ملايو ، ويعتبر الجزء الغربي من هذه الجزيرة من أندونيسيا ، بينما هناك جيب صغير يطلق عليه " أوكوس أمبينوا " كانت تحتله البرتغال ، وهناك في القسم الشرقي ثلاث قوى متصارعة : الحزب الشيوعي الديمقراطي ؛ الذي يطالب بالاستقلال في إطار نظام غربي مع الحفاظ على العلاقات مع البرتغال . والحزب الديمقراطي المتحد ؛ والذي يطالب بعودة تيمور الشرقية لإندونيسيا . والجبهة الثورية من أجل استقلال تيمور الشرقية ؛ والتي تطالب بالاستقلال الكامل ، وهذه الجبهة سيطرت قواتها على معظم أنحاء تيمور بما في ذلك العاصمة " ويلس " بعد انسحاب القوات البرتغالية عام ١٩٧٥م . كما أنه في عام ١٩٧٩م أعلن مجلس الشعب في شرق تيمور عن عزم تيمور الانضمام إلى أندونيسيا ، وفي يوليو ١٩٧٩م وافقت إندونيسيا رسمياً على هذا الطلب ، وأعلنت أن تيمور الشرقية أصبحت الإقليم السابع

والعشرين في إندونيسيا وجزءاً من البلاد ، وهو ما صار حتى هذه الأيام ، ولكن الأمم المتحدة لم تعترف بهذه الخطوة ، وأكدت أن البرتغال لاتزال لها السلطة الإدارية على الإقليم . وبقية هذه ورقة ضغط يضغط بها الغرب على اندونيسيا حتى وصلت أزمتها هذه الأيام إلى ما وصلت إليه ، وأعلن الرئيس حبيبي استعداد اندونيسيا للقبول باستقلال تيمور الشرقية ..!!

ماليزيا : اشتعلت الأحداث فيها منذ أن أقال مهاتير محمد نائبه ووزير ماليته أنور إبراهيم ، والذي كان حتى قبل إقالته يمثل خليفة مهاتير ، فقد أمضى في الحكم ١٧ سنة وكل منهما كان يثق في الآخر إلى أن حدثت الإقالة وبدأت الاتهامات وأحيل أنور إبراهيم للمحاكمة .

وتعد ماليزيا من الدول الإسلامية التي يبلغ عدد سكانها ٢٢ مليون نسمة ، وهم يتألفون من أعراق مختلفة يمثل المسلمون الأغلبية بنسبة ٥٦% ، والصينيون والبوذيون يمثلون ٣٢% ، والهندوس ١٠% والمسيحيون ومجموعات محلية أخرى يمثلون حوالي ٢% ، وهي دولة اتحادية تعرف باسم " اتحاد مليزيا " رئيس الوزراء فيها هو الحاكم الفعلي رغم وجود ملك له سلطة شرفية .

ومع اشتداد الأزمة المالية التي ألمت بنمور جنوب شرق آسيا فإن موجة من التنصير نشطت ، ومن المعروف أن سنغافورة انفصلت عن اتحاد مليزيا عام ١٩٦٥م بعد أحداث عنف طائفية ، حتى لا يعيش الصينيون ضمن بلد غالبيته من المسلمين ، ومن ثم فإن وضع ماليزيا يمثل مشكلة لأن أمنها القومي بات مهددا من قبل الأقليات العرقية الصينية والهندوسية ، والتي تلقى دعماً كبيراً من قوى متنفذة عالمياً ..!!

ومن أسباب تفاقم الأزمة بالإضافة إلى التهديد الأمني ، فشل حركات الإصلاح التي حاول العلمانيون القيام بها ، وسقوط قناع الديمقراطية الزائفة التي ظهرت حقيقتها أثناء محاكمة أنور إبراهيم ، التي أصبحت محاكمة للنظام نفسه ، وتراجع قيمة العملة المحلية بنسبة ٦٠% في عامين فقط ، وتوقف مشاريع تنموية بسبب عدم توفر التمويل اللازم ، مما سيزيد معدلات البطالة ...

خامساً : بلاد البلقان :

لن أتحدث عن هذا الملف بالكامل ولكن عن حلقة من حلقاته أو قضية من قضاياه الساخنة التي يتم التفاوض حولها الآن في " رامبوييه " قرب باريس بفرنسا . وقد أعلن أن هذه المفاوضات تهدف إلى إقرار إطار لتسوية النزاع في إقليم كوسوفا عبر منح سكان الإقليم الألبان حكماً ذاتياً موسعاً .

والواقع يؤكد أن هذه المفاوضات لن تخرج بحل حاسم لهذه القضية الحرجة لتعارض مصالح القوى المتنفذة ، ومن أبرز ما يلفت النظر في معالجة القضية هو محاولة أوروبا إحتواء القضية وعدم تركها

للولايات المتحدة الأمريكية لتنفرد بالحل ، كما حدث في قضية البوسنة والهرسك . التي انفردت بها الولايات المتحدة الأمريكية ووضع إطار حلها في دايتون . وقد صرح وزير الخارجية الألماني يوشكا فيشر قبل افتتاح المفاوضات في رامبوييه قائلاً : " إن إعلان المبادئ الذي أقرته مجموعة الإتصال حول كوسوفا هي الأساس لحل سلمي "، وختم كلامه بقوله : " إن إعلان المبادئ دليل على تصميم الأسرة الدولية على عدم السماح بمواجهات جديدة في كوسوفا ".

ولكن المستقرئ لإعلان المبادئ والمتتبع لسير المفاوضات يمكنه أن يقرر بأن القوة هي التي تملي الشروط وتصوغ البنود ، مما يجعلنا نعتقد بأن ما سيتم التوصل إليه إنما هو حلول مرحلية لا يمكن أن تمكن صاحب الحق الضعيف من الحصول على حقه ، وما تم في البوسنة والهرسك ليس ببعيد ...

خلاصة وبيان

إن الاستقراء السابق لهذه الملفات التي لم تغلق بعد يتطلب :

إتخاذ موقف عقيدي أساساً للانطلاق المستقبلي ، وهو إما القبول بهذا الوضع البائس للعرب والمسلمين واستمرارهم في استجداء المتنفذين بالسماح لهم بالبقاء في خدمتهم وتحقيق مصالحهم ، والمطالبة بتحسينات شكلية للأوضاع الاقتصادية ، وهذا الوضع - رغم سوئه وعفنه - لا يرضي الله عز وجل فهناك وعيد الله في الآخرة ينتظر من يقبل بهذا لوضع المخالف لشرع الله تعالى .

وإما أن يكون الموقف هو الإعتقاد في الله تعالى واليوم الآخر ، والعمل على تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة بأخذ الأسباب وبذل الجهد لتحقيق أمر الله تعالى { واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون } [آل عمران : ١٠٣]

ونحن نصدق بما أخبر به رسول الله ﷺ " إن الله يرفع بهذا الكتاب - أي القرآن - أقواماً ويضع آخرين " [مسلم]

هذا الموقف الأخير يتطلب ؛ وعياً للواقع ، وبذلاً للجهد لتغييره ، ووضع المخططات الزمنية و العملية للانتقال مرحلياً إلى النمو الكيفي وامتلاك القوة . وفي كل هذه المراحل لابد من الثقة في وعد الله تعالى القائل : { **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** } [النور : ٥٥] .